الأثر العلمي للأندلسيين بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)

عمارة محمد
طالب دكتورالي
جامعة سيدي بلعباس.

Abstract
My article about the impact of the migration of elite Andalusian during the seventh 13th century to the Maghreb East at a time when broken Almohad dynasty and united the kingdoms of the Christians and the great Islamic cities fell sadly.

مقدمة:

لقد ظهر تأثير الأندلسيين في الحياة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة بشكل واضح المعالم؛ من خلال التراجم الوفيرة للعلماء الوافدين الذين تحدثت عنهم بإسهاب وعن آثارهم التي خلفوها من بعدهم في مختلف الجوانب العلمية أصولاً وفروعًا.

لقد أجبرت الظروف السياسية المتدهورة للأندلس –خاصة بعد الهزيمة المدوية للموحدين في معركة العقاب أمام الممالك النصرانية في سنة 609 هـ – هذه النخبة الأندلسية على ترك مُدنهم وحواضرهم التي سقطت بيد النصارى تباعاً، فاختاروا بالمقابل الهجرة إلى المغرب الأوسط بصفة نهائية أو بصفة مؤقتة إلى حين الانتقال إلى تونس – عاصمة الحفصيين – أو إلى مصر أو الحجاز أو الشام أو غيرها من بلاد الله الواسعة .

ويُلاحظ أن أغلب الوافدين الأندلسيين – وهم من النخبة الممتازة – قد اختاروا إما بجاية وإما تلمسان للاستقرار الدائم أو المؤقت؛ نظراً لكونهما تحتضنان كراسي الملك بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة الزمنية .وتبعاً لذلك فقد غدت كل من بجاية وتلمسان أحد أهم الحواضر التي شهدت توافد الأندلسيين على اختلاف توجهاتهم ووظائفهم وأهدافهم، نظراً لما تمتعتا به من الجانب الطبيعي والحضاري مما وفر الفرصة – أكثر من غيرهما – لأصحاب الكفاءات لتفجير طاقاتهم وإبراز مواهبهم.

وليس الهدف تقديم إحصاء عددي أو تصنيف دقيق للعلماء الأندلسيين، كون أغلبهم موسوعيو الثقافة على تنوع اختصاصاتهم .فالعالم منهم بالمنطق له مشاركة بالفقه ومسائله وأصوله، مُتضلع بالأدب والفنون والتاريخ والمعارف الرياضية، ولكن هدف المقال الأول يتمثل في محاولة تلمس أثر النخبة الأندلسية ودورها العلمي بالمغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

وطبعاً فإن هذه المحاولة بحكم تواضعها، لا تهدف إلى وضع نقطة النهاية على الموضوع بقدر ما ستفتح صفحة من صفحات تاريخ الهجرة الأندلسية في العصر الوسيط، و الباحثون و المؤرخون يدركون جيداً أن كل نتيجة بحث علمي ما هي إلا انطلاقة نحو بحث آخر .

والسؤال المطروح :ما هي أبرز المجالات العلمية التي ظهرت فيها بصمة الأندلسيين المهاجرين؟ وماهي أبرز الإضافات التي حملوها معهم وأدخلوها عليها؟.

إن المصادر التاريخية التي ضمت تراجم أعلام الأندلس استطاعت أن تحفظ لنا كثيرا من الأخبار عن المجالات العلمية التي وضع الوافدون فيها بصمتهم الواضحة على أرض المغرب الأوسط أثناء فترة الدراسة، ومن أبرزها:

1– علم الحديث:

يُقصد بعلم الحديث العلم الذي يهتم بالنظر في ثبوت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيعرف به حال الراوي والمروي من حيث القَبول والرد، والنظر في دلالة النص على الحكم[1].

وقد اتجهت همة الناس في الأندلس منذ زمن مبكر إلى دراسة الحديث وهو من العلوم الأولى التي أقبلوا عليها، وبرزوا فيها والدليل على ذلك العدد الهائل للمحدثين الذين ذكرتهم كتب التراجم [2].ولما حصلت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط، نقل العلماء الأندلسيون معارفهم في الحديث النبوي معهم ليبثوها للطلاب في حلقات التدريس، خاصة وقد عُرف عن هذه النخبة العناية بالرواية عن الأكابر من الشيوخ من خلال تحري الأسانيد العالية والصحيحة.

يُضاف إلى ما تقدم تضلع أعلام الجالية الأندلسية في تخريج الأحاديث النبوية من أمهات الكتب، وطريقتهم الدقيقة والسهلة في بسط المعلومات على غرار" ابن سيد الناس "الذي كان يعقد الحلقات في بيته وفي الجامع الأعظم ببجاية مُعظم أوقاته، وكانت طريقته في الشـرح والتلقين تُبهر طلابه، حتى أن الغِبْرِيني وصف شخصه وطريقته بكثيرٍ من الإعجاب البالغ " :كان راوية، حافظا للحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم، وكان يقوم على البخاري قياماً حسناً، وكان إذا أقرأ الحديث يُسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله عنه، فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عُرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزال يتبعهم واحداً فواحداً إلى أن ينتهي إلى شيخه، فيقول :أما فلان شيخنا فيقول :ويذكر ما ذكر فيمن تقدم، ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا، وسمع منه كذا، وبعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث وعربيته ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي، ولدقائقه ورقائقه والمستفادات منه، كل ذلك بفصاحة لسان و جودة بيان[3]."

بل إن الغِبْرِيني ذكر أن" ابن سيد الناس "كان يحفظ عشرة آلاف حديث بأسانيدها ويُذاكر بأضعافها، وأن من كرامات هذا العالم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح على صدره بيده الشريفة، فأخبر أنه لم ينس شيئا منذ سمعه[4].

فلم يكن بغريب إذن ! أن يتزاحم طلبة العلم على تلك الحلقات العلمية المهمة في الجوامع وأماكن الدرس.

وممن كان لهم الأثر أيضاً في تطوير هذا العلم الشريف من النخبة الأندلسية العالمان الكبيران:

" ابن السَّرَّاج الأندلسي "الذي انتهى إليه العلم بالرواية والأسانيد وتخريج الأحاديث، حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخه، وعُرف عنه الزهد والصلاح كما اشتغل بقية حياته في المغرب الأوسط بالتدريس[5].

و"أبو العباس أحمد ابن الغَمَّاز الانصاري البَلَنْسِي 693 – 609) "هـ 1294 – 1212 / م (الذي اشتغل آخر عمره بالرواية والتصحيح، و كان من نظمه في الزهد:

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة وأنت على سوءٍ من الفِعل عاكِف
وإياك أن تمضي من الدهر ساعة ولا لحظة إلا وقلــبك واجـــــفُ
وبادر بأعمال تسرك أن تـرى إذا نشرت يوم الحساب الصحائـفُ
ولا تيأسن من رحمة الله إنــه لرب العبـــــاد بالعبـاد لطـــــــائـفُ[6].

ب – الكتابة و الخط:

لقد توسع تأثير الأندلسيين على الحياة العلمية بالمغرب الأوسط ليشمل فن الكتابة وأساليبها إلى جانب رسم الخط . فأما من حيث طرق وأساليب الكتابة فقد أصبح النموذج الأندلسي مثالا يُحتذى به في اختيار الألفاظ واعتماد السجع والأخذ بالمحسنات البديعية، فصارت كتابات الأدباء الأندلسيين أنموذجا لمعاصريهم من علماء المغرب الأوسط وغيره.

لقد أفادتنا المصادر التاريخية بوفرةٍ في المعلومات عن الكثير من الشخصيات الأندلسية التي أثرت الساحة الأدبية في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة وأشهرهم أربعة:

" أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب الغَافِقِي "الذي اختار الخروج من بلده" مَرْسِيَة "بالأندلس والهجرة صوب المغرب الأوسط مستوطنا تلمسان، التي اتخذها مسكنا ًومأوىً بصفة نهائية[7].

كان أبو بكر هذا فقيهاً شاعراً ناثراً، يتوضح ذلك من خلال الأوصاف التي حلاه بها مُترجموه:

نقل ابن الخطيب وصفه فقال " :كان كاتباً بارعاً شاعراً مجيداً، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحُسن فهم، ذو فضل وتعقل وحسن سمت .وورد على غرناطة، واستُعمِل في الكتابة السلطانية مدة[8]."...

ويؤيد هذه التحلية كلام يحي ابن خلدون الذي يقول عنه أنه " :كان من أبرع الكتاب خطاً وأدباً وشعراً ومعرفةً بأصول الفقه[9]."

أما الحافظ التَّنْسِي فقال عنه" :إنه خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب[10]." ...

صار هذا الأديب الأندلسي قُدوة لغيره في طريقة كتابة ديباجة الرسائل، ونسج الأسلوب الخطابي خاصة وأنه جمع صفات نادرة تنم عن قوة أدبية وعلمية من مثل:

–القوة البلاغية
–المقدرة العالية على الترسيل
–الإجادة النوعية في الكتابة
–حُسنُ شعرٍ.

تلك الصفات النادرة والكفاءة الكبيرة دفعت أول حكام دولة بني عبد الواد، وهو" يَغْمُرَاسَن "لاستكتابه وجعله صاحب القلم الاعلى في البلاط.

وصدر عن الأديب الأندلسي من الرسائل في خطاب" يَغْمُرَاسَن "لخلفاء الموحدين بمراكش وتونس – أي بنو حفص –في عهود بيعاتهم ما تُنوقل وحُفظ[11].

وأما أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دِحْية الكَلْبي الأندلسي النحوي اللغوي المتعدد الفنون–544) 633هـ1235–1150/م(؛ فقد هاجر بلده مُتوجهاً نحو المغرب الأوسط ودخل تلمسان واستوطن بجاية مُعلماً بها إلى حين[12]؛ وكان مكوثه في المغرب الأوسط مُهمًّا، لما حصلت به الفائدة من علمه الواسع وتبحره في الأدب واللغة، من خلال جهوده في التدريس للطلاب الذي كان ينتهي غالباً باستحقاقهم للإجازات العلمية في مختلف الفنون لاسيما الأدبية منها، هذا إلى جانب المؤلفات التي أثرى بها الساحة العملية والأدبية كرسائله الأدبية المتبادلة مع الأقران على سبيل المثال.

ويؤكد ما تقدم شهادة الغِبْرِيني الذي كان حريصا على الترجمة للأعلام الذين حلّوا أو ارتحلوا من وإلى المغرب الأوسط وبخاصة بجاية، فمن ذلك قوله عن أبي الخطاب أنه " :كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حُوشِي اللغة عنده مستعملاً غالباً عليه، ولا يحفظ الانسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها، وكان قصده – والله أعلم –أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس[13]."

كما وصف الغِبْرِيني أيضاً كتاباته الراقية الأسلوب البديعة البيان بقوله" :رأيتُ من كلامه كثيراً في رسائل ومُخاطبات، كلها مغلقات مقفلات"...، ثم أورد قصة إرسال هذا الأديب الأندلسي لخطاب قصير وقليل الكلمات، أشبه ما يكون بالرسالة السرية المشفرة نظرا لصعوبة الكلمات التي استخدمها أبو خطاب و نصــها:

" الشيخ الفقيه الأديب الجَحْجَاح الهِرْماس أبو فلان جحمظ الله قَعْبَان شفْتَرتَه هذا الغِطْريس في اليم أخذ رجلا لا يملك حَدْر فُوتا فيرى الزِبرقان فيخاله حُوارَى ويرى الجُعل فيحسبه زَعْبجاً وله قرحة أُمحشت من الحر وتعطل كبرها فأبعثْ إلى هذا العثري من يخـضدُ شوكتـه والسلام[14]."

كان أبو خطاب الأندلسي إذا كتب اسمه في الإجازات العلمية أو غيرها من رسائله ومُكاتباته، يكتب دَحْية ودِحْية معا تشبها بجَبْريل و جِبْريل، ويذكر ما يزيد عن ثلاث عشرة لغة المذكورة في اسم جبريل[15].

خلَّف ابن دحية من بعده كُتبا كثيرة من بينها:

–التنوير في مولد السَّرَّاج المنير، وألفه في سنة 604 هـ.

–العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور.

–الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

–شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.

–النِّبْراس في أخبار خلفاء بني العباس[16].

يضاف إلى الشخصيتين السابقتين" :أبو المُطرّف أحمد بن عُمَيْرة المخزومي"، وقرينه" أبو عبد الله محمد ابن الأبَّار." فأما" ابن عميرة "فقد استفادت جموع الدارسين والأقران في المغرب الأوسط من علمه، نظراً لما تمتَّع به من القوة والبراعة الأدبية لاسيما في الجانب الأدبي، خاصة وقد وُصف قبل هجرته نحو المغرب الأوسط بأنه عظيم الأندلس في الكتابة وفي فنون من العلوم[17].

ولما حل" ابن عميرة "بالمغرب الأوسط تصدر التعليم وتدريس مختلف العلوم، وبصفة خاصة الجانب الأدبي واللغوي الذي برع فيه مما أفاد في دفع الحركة العلمية بالمغرب الأوسط يومئذ.

و يشهد لكلامنا المُتقدم هذا ما وصفه به أقران هذا الرجل ومن ترجم لهم من بعدهم ممن عُني بذلك، ومن تلكم الأوصاف:

وصف ابن" الأبَّار "وهو قرينه وزميله في الكتابة الأدبية له" بأنه فائدة هذه المائة والواحد يفي بالمائة، الذي اعترف باتحاده الجميع واتصف بالإبداع[18]."

كما أطنب ابن الخطيب في النقولات عن فضل" ابن عميرة "وخصاله، ومن جُملة ذلك الكتابة التي عدها من أبرز مناقبه وأخبر أنه " :كان يذكر في منامه، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فناوله أقلاما، فكان يُرْوى له أن تأويل تلك الرؤيا، ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشياع الذكر[19]."..

وقدم لنا الغِبْرِيني وصفا مُجملاً ولكنه مُتكامل عن شخصية" ابن عميرة "ودوره في تنشيط الحركة العلمية عموماً والأدبية على وجه الخصوص في المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة، ومن ذلك قوله فيه أنه" : الشيخ الفقيه المجيد المجتهد، العالم الجليل الفاضل، المتقن المتفنن، أعلم العلماء، وتاج الأدباء...فاق الناس بلاغة وأربى على من قبله، وتهادته الدول...وله أدب هو فيه فريد دهره، وسابق عصره...وما رأيت من الكتاب ما أعجبني مثل كتب الفقيه أبي المطرف...كتابته علمية أدبية وكتابة غيره مقتصرة على نوع من الأدب، فكتابته جامعة بين كتابة العلماء والأدباء، وكتابة غيره مقتصرة على نوع الأدباء، وهذا المعنى هو الذي تميز به عمن عداه، وسبق به من سواه[20]."

ومن أهم مؤلفاته:

–تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي)مفقود

–اقتضاب من تاريخ المريدين)مفقود

–تاريخ ميورقة.

–المواعظ بالإضافة إلى مجموعة رسائله التي جُمعت من بعده على غرار) بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام امام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف[21]

و قرين ابن عميرة هو زميل مهنته في الكتابة والوظائف السلطانية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبَّار القُضاعي البَلَنْسِي، الذي لم يُغادر موطنه الأندلس إلا وقد اشتهر بقوته العلمية وبراعته الأدبية، وكان من نعمة الله تعالى وحُسن تدبيره أن هذا الأديب الأندلسي اختار دخول المغرب الأوسط والنزول ببجاية تحديداً عقب هجرته إثر سقوط بلده بَلَنْسِيَة بيد النصارى.

وفي بجاية تفجرت طاقات الرجل وبرزت موهبته العلمية والأدبية، فأقبل الطلبة على مجالسه ودروسه فنالوا من وراء ذلك خيراً كثيراً، واستفادوا من أسلوبه البديع في الكتابة قبل أن تحول مشاغل السياسة بينهم وبينه إلى حين[22].

تلك المشاغل السياسية التي تحولت إلى مؤامرات ومشاكل عويصة، هي نفسها التي عادت مرة أخرى بابن الأبَّار من تونس العاصمة إلى بجاية في آخر صفر من سنة 646 هـ، و فيها قدم للأدب والتاريخ والسياسة كتابه المهم إعتاب الكتاب.

هذا الكتاب وإن كان غرض ابن الأبَّار الأول منه استعطاف ولي العهد ليشفع له عند الامير للعفو عنه[23]، إلا أنه مثل في نفس الوقت موسوعة أدبية وتاريخية قيمة ودقيقة لثلة من كبار الكتاب في الشرق والغرب الإسلامي، الذين صدرت عنهم زلات غفرها لهم ملوكهم وأمراؤهم.

و اشتمل الكتاب على خمس وسبعين من التراجم القصيرة والطويلة، وظهر فيه منهج ابن الأبَّار بوضوح في التأريخ على طريقة التراجم، وهي الطريقة الغالبة عليه في أكثر مؤلفاته والتي صارت من الأمثلة المُتبعة في هذا النوع من الكتابة.[24]

شد ابن الأبَّار الرحال مرة أخرى إلى تونس العاصمة معفواً عنه؛ لكن مشاكل السياسة عادت مرة أخرى بهذا الأديب الأندلسي الفذ إلى بجاية في سنة 650 هـ، ليمكث بها ما يقرب من سبع سنين كرسها للتعليم والتدريس وإفادة الطلاب وكذا المشاركة بفاعلية ونشاط كبير في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالمغرب الأوسط في هذه الفترة فالتف حوله جمع غفير من طلبة العلم يأخذون عنه مختلف العلوم.

كما ساهم ابن الأبَّار من جهة أخرى في إثراء الساحة الأدبية بمؤلفات لا تزال تُعتمد في البحوث التاريخية والأدبية والعلمية، نظرا لقوة أسلوبها وغزارة مادتها بالإضافة إلى دقتها ووضوحها .

فأنجز في هذه الفترة كتابه المهم الآخر والموسوم بالتكملة لكتاب الصلة الذي كان قد بدأه في بلاده الأندلس في سنة631 هـ، وخصصه لتراجم علماءها مُكملاً به كتاب الصلة لابن بَشْكَوَال .

وقد مثل هذا الكتاب خلال القرن السابع الهجري أهمية بالغة للدارسين والباحثين سواء من أهل المغرب الأوسط أو من غيره ممن وفد عليه، خاصة وقد ضم الكتاب دُررا نفيسة من تاريخ وآثار أعلام الأندلس ونُخبتهم في جميع الجوانب الأدبية والعلمية والسياسية.

كما أقدم أيضاً على اتمام كتابه الأدبي الآخر المسمى بالحُلَّة السيراء، والذي كان قد بدأه أيام إقامته بتونس.

وقصد ابن الأبَّار من كتابه ذلك تقديم وصف جلي ودقيق للنشاط الأدبي لمشاهير الاعلام في السياسة والحرب، من رجال الأندلس وشمالي افريقية[25].

وعلى ضوء هذا الانتاج المهم نستطيع أن نصف رحلة" ابن الأبَّار "إلى بجاية بأنها كانت من أخصب فترات حياته العلمية، وهذه الإقامة هي التي أتاحت للغبريني أن يُترجم له ضمن من حل ببجاية من الاعلام ورُبَّ محنة في طياتها منحة[26].

وكان من فضل الله تعالى على المغرب الأوسط وعلى الباحثين في كل العصور أن" ابن الأبَّار "ترك نسخاً من كتبه المتقدمة الذكر في بجاية، فنجت من الدمار والضياع غداة مقتله وإحراق جثته وكتبه .

مؤلفـاته:

لقد ألف" ابن الأبَّار "كتباً كثيرة – احترق أغلبها مع جثته – ولم يسلم لنا إلا ستة كتب تناولت ثلاثة فنون وهي على الشـكل الآتـي:

الحديـث :

–المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح.

الأدب:

–مقتضب تحفة القادم.

التاريـخ:

–الحلة السيراء.

–التكملة لكتاب الصلة.

–المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي[27].

–إعتاب الكتاب .

وأما في جانب الخط الذي عده ابن خلدون صناعة شريفة، ومظهرا من مظاهر العمران والحضارة، فقد شهد هو الآخر على التأثير البارز للبصمة الأندلسية فيه، وذلك بالرسم البديع للخط الأندلسي؛ فغدا بذلك مثالاً يُحتذى به بحيث أهمل الرسم المغربي القديم الذي عُرف بخط القيروان، وقد كان فيما مضى هو الغالب على أهل بلاد المغرب عامة[28].

لما أقبل الخط الأندلسي عكف على تعلمه الطلبة واعتمده النساخون، وذلك نظرا لوضوحه وسهولة الكتابة به .

وعرف الخط المغربي طريقه للاندثار على أرض المغرب عموما بأقطاره الثلاثة وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله : "فغلب خطهم) أي الخط الأندلسي (على الخط الإفريقي وعفى عليه، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس[29]."

ج – القراءات :

إن الغاية من هذا العلم هو خدمة القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى الذي نزل باللفظ العربي المُعجِز على نبيه وعبد محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، والذي وصل إلينا بالتواتر.

غير أن الصحابة رضي الله عنهم رَوَوْا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم على طرق مختلفة في بعض الألفاظ و كيفيات الحروف في أدائها.

وتناقلت الأمة جيلاً بعد جيل القرآن الكريم على الوجه المتقدم الذكر، إلى أن استقرت من تلك الطرق وأوجه القراءة سبعة معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة[30].

ثم ما لبث العلماء أن وضعوا تأصيلاً دقيقاً لكل قراءة مدونين ذلك في مؤلفاتهم التي اجتمعت تحت اسم علم القراءات.

ولما هاجر الأندلسيون إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري، نقلوا معهم كفاءتهم وتميزهم في القراءات نظراً لكون الأندلس كانت موطناً لكبار علماء هذا العلم[31].

وكان من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت في هذا المجال على أرض المغرب الأوسط أربعة من النخبة الأندلسية:

*أبو عثمان بن سعيد بن زاهر 654–577)هـ1181/م1256 –م (وهو من أهل بَلَنْسِية، كان شيخاً مشهوراً و قارئاً حاذقاً، عارفاً إماماً بالرواية والقراءات وحظ من العربية.

استوطن المغرب الأوسط، وتولى القضاء ببجاية والتدريس والإقراء بجامعها الجُموعُ الكثيرة إلى غاية وفاته، واشتهر بكتابه القراءات.

وصفه الغِبْرِيني بأنه" :لم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيماً، وبسطاً وتعليماً[32]."

*أبو العباس أحمد بن محمد الصَّدفي الشاطبي) ت674 هـ1276/م(، له رواية واسعة ومعرفة بالقراءات وعده الغِبْرِيني الأضبط والأتقن عنده[33].

استوطن الإمام" أبو العباس "المغرب الأوسط، وأقبل على تعليم الناس القرآن الكريم حتى صار ذلك شُغله على الدوام، مع عفة عما في أيدي الناس مع عبادة ونُسك .[34]لقد كان تفرغ هذا العالم الأندلسي ايجابيا جدا، إذ تكاثر الطلاب عليه لا سيما مع حُسن خُلقه وتواضعه وطريقة تعليمه الهادفة والدقيقة، والتي كانت تنتهي بحصول الطالب على الإجازة للإقراء رغم تشدد" أبي العباس "وعدم مُسامحته في شيء من أصول القراءة ومختلف وجوهها، وهو ما حرص الغِبْرِيني على تسجيله[35].

يُضاف إلى حلقات" أبي العباس "العلمية في تدريس القراءات، تركه مؤلفات جليلة للمكتبة العلمية بالمغرب الأوسط، خاصة على مذهب الإمام ورش الذي كان وظل منتشرا في بلاد المغرب عموما مُترافقا مع المذهب المالكي، ومن تلكم الآثار العلمية:

–كتاب في) مرسوم الخط (وهو كتاب حسن كثير الفائدة.

–جزء في بيان) تمكين ورش (حروف المد واللين الثلاثة، الأف والواو والياء إذا تقدمتهن الهمزة.

–جزء آخر في بيان ورش.

–بالإضافة إلى تآليف أخرى في رسم الخط وفي بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها[36].

*أبو عبد الله محمد بن صالح الكِنَاني الشَّاطبي699–614) هـ1297–1217/م (وهو من علماء الأندلس المتضلعين في الحديث والرواية المتسعة .

غادر هذا الإمام الأندلسي بلاده ومسقط رأسه شاطبة والتجأ إلى المغرب الأوسط، واستقر به المُقام ببجاية ودرس و خطب بجامعها وانتفع به خلق كثير.

كما ولي أبو عبد الله القضاء قُرابة الثلاثين عاما لم يَنُب عنه أحد في منصب الخطابة طوال هذه المدة[37].

كان الشاطبي عالماً بالقراءات متقناً لها مُجيداً، بل كان أعلى الناس إسناداً بالشاطبية مع معرفة بعلم العربية[38].

أخبر الغِبْرِيني أن أبا عبد الله الشاطبي، كان ممن كثرت عليه القراءة والرواية ببجاية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة وكفاءة الرجل العلمية وعلى رواج سوق العلوم عموماً في المغرب الأوسط في هذه الفترة، والتي أنعشها توافد النخب العلمية الأندلسية، من شعر الشاطبي الحسن قوله:

جعلت كتاب ربي لي بضاعةْ فكيف أخاف فقرا أو إضاعةْ

وأعددت القناعة رأس مالي وهل شيء أعز من القناعـةْ

وقال أيضاً:

لا يستوي شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باستحـــــــقاق

فانظر لحسن الشمس عند طلوعها بيضاء تسحب بردة الإشراق[39].

لقد تحدث العَبْدَرِي بإسهاب وإعجاب كبيرين عن مُترجمنا – الإمام الشاطبي – في رحلته لدى مروره ببجاية، حتى عده بأنه آخر من بقي من علماء بجاية المحافظين على السند والرواية[40].

*أبو زكريا يحي اللّقْنَتي الأندلسي) أواخر القرن السابع الهجري /نهاية القرن الثالث عشر الميلادي .(

وهو الحافظ المحدث الذي كان عارفاً بالأسانيد، هاجر بلده ودخل إلى المغرب الأوسط واستقر ببجاية و بها أقرأ وأسمع[41].

د – الطب :

يُعرف ابن خلدون الطب على أنه" :صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث مرضه وصحته، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يبن المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية[42]."

ولقد عرف أهل الأندلس علم الطب وأوجه العلاج وأنواع الدواء والأدواء منذ الفتح الإسلامي للجزيرة، ومع مرور الوقت ونجاح حركة الترجمة وتشجيع الدول المتعاقبة، انتقل الطب دراسة وممارسة من الأندلس إلى المغرب الأوسط لا سيما في القرن السابع للهجرة الذي يُعد في حقيقة الأمر امتداداً طبيعياً للقرن السادس، والذي مثل ذروة المجد والتطور الأندلسي لعلوم الطب والصيدلة[43].

ثم عرف الطب طريقه نحو بلاد المغرب الأوسط عقب تهاوي حواضر المسلمين في الأندلس، وعجز الموحدين ومن جاء بعدهم عن رد عدوان الممالك النصرانية.

وكان من حظ المغرب الأوسط أن يدخله ضمن أفواج المهاجرين الأطباء والصيادلة، والذين صحبتهم إليه خبراتهم الطويلة ومعارفهم الكثيرة في الطب .وسُرعان ما انفتحت الأبواب لهؤلاء المتضلعين بالطب وفروعه، فراحوا ينشرون أبحاثهم وآراءهم الفريدة بين طلبة المغرب الأوسط من أهله وممن وفد عليه .ويمكن أن نُبرز أهم الإسهامات الأندلسية في جانب الطب في النقاط التالية:

–تدريس المفاهيم والنظريات الطبية كان يتم إلى جانب تدريس مختلف العلوم الأخرى، وذلك في ظل موسوعية النخبة الأندلسية التي لم يكن بغريب على أعلامها الاشتهار بأكثر من فن على كثرتها الكاثرة وتنوعها.

–توجه العناية من الأندلسيين في تدريس الطب إلى نُبهاء طلاب المغرب الأوسط.

–الاعتماد على الممارسة وإجراء التجارب الطبية التطبيقية، مع ما يصحب ذلك من معرفة بالأدواء والأمراض وما يُلائمها من الأدوية.

–إثراء جانب التأليف في الأدوية والحشائش الطبية والأمراض المنتشرة.

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية، تراجم الشخصيات الطبية الأندلسية التي حلت وارتحلت نحو المغرب الأوسط وأسهمت بشكل فعَّال في تطوير هذا الجانب المهم في ازدهار الدول وسمو الحضارة فيها، ومن هؤلاء الأعلام الأندلسيين:

*أبو الحسن علي بن موسى بن شَلوط البَلَنْسِي) ت 610 هـ 1213 / م(، وهو ممن هاجر بلده واختار دخول المغرب الأوسط ، واستوطن منه تلمسان مُحترفا الطب[44].

*أبو العباس أحمد بن خالد المالقِي) ت نحو سنة 660 هـ 1262 / م(،وهو من المشاركين في الطب، مع معرفة واطلاع في الحكمة و الطبيعيات والإلهيات .دخل أبو العباس إلى المغرب الأوسط واستوطن بجاية إلى وفاته؛ وفي بجاية اتخذ من منزله دار للتدريس، وكان الغِبْرِيني من جُملة من أخذ عنه واستفاد[45].

*أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المَرْسي المعروف بابن أَنْدراس) ت 674 هـ 1275 / م .(من أهم الأطباء الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأوسط، اشتهر بالبراعة في تشخيص الأمراض، والتبسط في البحث فيه، مع مشاركة قيمة في العلوم الأخرى كالعربية وأصول الدين[46].

قدم الغِبْرِيني وصفا مُستفيضا لهذا الطبيب الأندلسي فقال:

" كانت له حدة ذهن وجودة فكر، تبسط لإقراء الطب والعربية...قرأتُ عليه أرجوزة ابن سينا قراءة إتقان وجودة بيان، وكان يحضر لذلك نبهاء الطلبة ويجري فيها من الأبحاث ما يعجز الكتب عنه...وقرأتُ عليه جملة من كليات القانون بعد قراءة الأرجوزة، وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية[47]."

ولم يفُت الغِبْرِيني – بالمناسبة – أن يُقدم لنا وصفا عاماً عن حالة الطب والأطباء في زمانه بين الأغبياء وبين الحُذاق كأبي القاسم الموصوف بالبراعة والتفوق على أقرانه بقوله :

"كان رحمه الله إذا سُئل عن المسألة الطبية كثيراً ما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر، ورأيتُ غيره من الأطباء ممن يقصر عن معرفته إذا سُئل ساعة ما يُسأل يُجيب، وربما اعتقد هذا المسرع في الجواب أو غيره من الأغبياء أن سرعة المسرع هي لمعرفته وأن إبطاء المبطئ هو لتقصيره، وهذا هو اعتقاد الاغبياء في أمثال هذا، وإنما الإبطاء في الجواب دليل العلم لأنه بين السائل للطبيب الغرض العارض للعليل، ولا بد أن يقع له النظر في الأسباب وتمييزها والحدس على السبب الفاعل إن تعارضت وينظر أنسب الأدوية، وحينئذ يقع الجواب، وهكذا هو حال حُذاق الأطباء ".[48]

لقد خلف هذا الطبيب الأندلسي رجزا نظم فيه بعض الأدوية و استكمله أثناء مُقامه ببجاية، وهي التي وفرت له جميع ظروف العمل والإبداع المُتميز، إذ أن جبلها أَمسِيول الواقع شماليها كانت تنبت في أكنافه جُملة من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل :البرباريس والقنطوريون والراوند والاسفيوس وغير ذلك من الحشائش[49].

كما قام أبو القاسم إلى جانب ما تقدم بنظم الأدوية المفردة من القانون وكلف تلميذه الغِبْرِيني بمعاونته في ذلك[50].

*أحمد بن محمد الجذامي) ت 650 هـ 1252 / م (وهو من أهل قرطبة، استوطن سبتة وأقام بإشبيلية قبل سقوطها في يد النصارى[51].

اشتهر أحمد بمهارته الفائقة في الطب إلى جانب معرفة واسعة بالحديث مع ضبط وإتقان ومشاركة في الأدب، ودخل إلى المغرب الأوسط مُستوطناً بجوار الدولة الزيانية فاستفاد الناس من خبرته ومهارته العالية في الطب من خلال ممارسته إياه وتدريسه للطلاب[52].

فبفضل الله تعالى ثم بفضل هؤلاء العُلماء الأندلسيين الأفذاذ، أصبحت بلاد المغرب الأوسط مركز إشعاعٍ علميٍ بحق، وصارت مقصداً للدارسين والمُدرسين على حد السواء.

لقد كان لهجرات الأندلسيين – لا سيما النخبة منهم – أعظم الأثر على بلاد المغرب الأوسط من خلال انتشار العلوم المتنوعة، والتي عرفت بدورها الطريق نحو المشرق والمغرب انطلاقاً من بجاية وتلمسان على وجه الخصوص .

وما أكثر الأندلسيين الذين وصلوا إلى مصر والحجاز والشام وغيرها ليحظوا هناك بالمراتب العالية، وقد كان خط سفرهم وانتقالهم كثيراً ما ينطلق من سواحل المغرب الأوسط.

ولقد كان لهذه الحيوية العلمية الأندلسية وبيئة المغرب الأوسط المتهيئة للاستقبال والتلقي، أعظم الأثر على ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في هذا الاقليم المترامي الأطراف خلال القرن السابع الهجري، بل وسيمتد ذلك الإشعاع إلى القرن الثامن الهجري.

2– التعليم:

لقد امتد تأثير الأندلسيين ليشمل مختلف مناحي الحياة ومجالات العلوم في المغرب الأوسط .لقد هاجر الأندلسيون بقلوب كسيرة ودموع غزيرة على وطنهم الذي تقاسمت أشلاءه الممالك النصرانية وصغار أمراء المسلمين، ولم يعد من بُدٍّ أمام هؤلاء المهاجرين ليبحثوا عن وطن آخر آمن وجديد وليفتحوا مجدداً صفحة منيرة مع الحضارة والرُقي.

وحيث أن التعليم يُمثل حجر الزاوية في دفع الحركة العلمية وتوسع رقعتها وتعميقها، وترقية المجتمع حضاريا[53]؛ فقد أولى الأندلسيون هذا الميدان عناية فائقة في ظل دعم السلطة السياسية الحاكمة آنذاك.

يُعرف ابن خلدون التعليم بأنه:

" الحصول على الحذق في العلم و التفنن فيه والاستيلاء عليه .ويكون ذلك بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئ العلم وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً[54]."

اتسم برنامج التعليم في بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم – قبل أن يحط الأندلسيون رحالهم به – بتقسيم المواد الموجهة للطلبة والتلاميذ إلى قسمين:

–القسم الأول:

المواد الإجبارية التي لا غنى للطالب عن تعلمها وإتقانها، وهي التي لها علاقة مباشرة بالقرآن الكريم وذلك من ناحية :

–الحفظ

–إعرابه وإتقان الهجاء

–إتقان معاني الآيات الكريمة

–القراءة الحسنة والمنضبطة البعيدة عن التغني والتلحين، والأنسب أن تكون القراءة على حرف نافع[55].

–الرسم والشكل الصحيح للنص القرآني[56].

–القسم الثاني:

وهي المواد الاختيارية التي لا يقوم المعلم بإجبار الطالب على تعلمها، مالم يحصل الاتفاق مُسبقا عليها مع ولي الطالب، ومن ذلك على سبيل المثال :

–الحساب الذي يُعد من العلوم الأصولية الضرورية شرعاً.

–الشعر العفيف الخالي مما هو مُستهجن مُستقبح، ذلك أن الشعر ديوان العرب ومُعجم لغتهم الكبير.

–أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم، وهو التاريخ المكمل للأدب.

–النحو والغريب والعربية.

–الخط الحسن[57].

وكانت الطريقة المُتَّبعة في بلاد المغرب للتعليم قبل دخول الأندلسيين تقوم أساسا على الإلقاء المحض، واستظهار النصوص عن ظهر قلب والتركيز على تعليم علوم القدامى كما تداولتها الأجيال[58].

ولعل من أبرز عُيوب هذه الطريقة إنكار الجدل والتفكير والمناقشة، فالطلبة المتعلمون مجتمعون سكوت لا ينطقون.

واستطاع الأندلسيون عقب هجرتهم أن يُغيروا طريقة التعليم التقليدية، وعوضاً عنها تم – في نَقلة نوعية – إحلال الطريقة الأندلسية محل نظيرتها المغربية التقليدية، في إيصال المعلومة إلى المتلقي تقوم أساساً على إطلاق المجال للعقل في التفكير والتعليل وتحليل الآراء ودراستها ومناقشتها[59].

وقد عرف ابن خلدون الطريقتين ثم عقد مُقارنة بينهما، أبدى فيها انتصاره لطريقة الأندلسيين مُبرزاً إيجابياتها .بينما انتقد طريقة المغاربة مُوضحاً سلبياتها وجنايتها على التعليم.

فأما بخصوص الطريقة المغربية التقليدية فيقول:

" فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة .

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يُجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم[60]."

ثم عدد ابن خلدون سلبيات هذه الطريقة، مبيناً أن الاقتصار على القرآن الكريم في التعليم فقط حرم أهل المغرب من حصول ملكة اللسان الفصيح " ذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لأن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام[61]."...

في حين أن الطريقة الجديدة التي هي مذهب أهل الأندلس تقوم على:

" تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يُراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسّه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب .ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما .وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة[62]."..

وكان لهذه الطريقة الأندلسية إيجابياتها في الجُملة على المتعلمين، وذلك بحصول ملكة اللسان العربي " فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل وممارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي...فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا[63]."

ولما هاجر الأندلسيون من موطنهم إلى المغرب على وجه العموم بما في ذلك بلاد المغرب الأوسط، انتقلت معهم طريقتهم المتقدمة الذكر في التعليم، فصار المغاربة يُقلدون طريقة التعليم الأندلسية، فيخلطون" في تعليمهم للولدان

القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك[64]."

الخلاصة:

لقد كانت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة 13) م (ظاهرة مميزة بمختلف الأشكال التي اتخذتها، نظراً لأهميتها في ميادين الحضارة المتعددة لا سيما الثقافية والعلمية منها في فترة الدراسة التي تُعد من أخصب وأزهى الفترات التي مر بها المغرب الأوسط.

ورغم أهمية الموضوع إلا أن الاهتمام به لم يلق ولم يرق إلى العناية الكافية من الباحثين والمسؤولين الجزائريين، اللهم إلا كلمات متناثرة في مقالات قليلة أو حفلات غنائية ذات طابع أندلسي أو تظاهرات مؤقتة وغير مؤصلة علمياً وأحسب أن بحثي هذا قد أزاح بعض الغموض والغبار بل والنسيان الذي علا تاريخ المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة.

وأود في ختام هذه الدراسة تسجيل ما أمكن من النتائج والتوصيات والملاحظات المهمة التي وصلتُ إليها على شكل نقاط:

–إن تفريط المسلمين في حماية ثم استرجاع طُلَيْطِلة وسَرَقُسْطة، أدى إلى انكشاف الحواضر الإسلامية الباقية ثم سقوطها المتتالي في النهاية – رغم صمودها نحو قرنين من الزمان – في ظل تنامي قوة النصارى وتناحر المسلمين.

–شكلت هزيمة العقاب نقطة تحول نهائية وأخيرة في الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس، بحيث مالت كفة القوة إلى جانب النصارى وتحطمت هيبة الموحدين والمسلمين عموما في ظل الخسائر المهولة في العدة والعتاد.

–لم تكن مملكتا بني حفص وبني عبد الواد اللتان اقتسمتا إرث الدولة الموحدية على أرض المغرب الأوسط، بالقوة المرجوة والممكنة للمحافظة على بلاد الأندلس أو إنقاذها، فعمدتا إلى تشجيع الهجرة الأندلسية إلى أراضيهما، من خلال قرارات سياسية حاسمة وجريئة، وذلك في خِضم منافسة محمومة للاستفادة من خبرات الوافدين وحنكتهم وما حملوه معهم من أساليب الحضارة والعلوم والأدب والطب والتعليم.

–شجعت المقومات الطبيعية للمغرب الأوسط من قرب المسافة مع العدوة الأندلسية، بالإضافة إلى تشابه المناخ على اختيار الأندلسيين الهجرة إليه واتخاذه مقراً أو مستقراً.

–استقرار الأندلسيين في المغرب الأوسط ارتبط بالحواضر الكبرى فيه التي احتضنت كراسي الملك على غرار بجاية الحفصية وتلمسان العبد الوادية.

–ساهمت عقلية المجتمع في المغرب الأوسط المجبولة على حب الوافد الغريب على حساب المحلي، على ازدهار مكانة العنصر الأندلسي على حساب نظيره المغربي.

–ساهم الأندلسيون بشكل لافت في دفع عجلة العلوم والآداب وتنشيط حركة التأليف في المغرب الأوسط.

–استطاع الأندلسيون تطوير التعليم بتطوير أساليبه ونُظمه، تلك التي عبرت معهم البحر إلى المغرب الأوسط.

–تخرج على يد الأعلام الأندلسيين علماء أجلاء في المغرب الأوسط على غرار" المقري "والأخوين" ابن خلدون"؛ هؤلاء العلماء الذين استطاعوا رفع لواء العلم والمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ردحاً من الزمان.

فبفضل الله تعالى ثم بفضل هؤلاء العُلماء الأندلسيين الأفذاذ، أصبحت بلاد المغرب الأوسط مركز إشعاعٍ علميٍ بحق، وصارت مقصداً للدارسين والمدرسين على حد السواء وانتشار العلوم المتنوعة، والتي عرفت بدورها الطريق نحو المشرق والمغرب انطلاقا من بجاية وتلمسان على وجه الخصوص؛ وما أكثر الأندلسيين الذين وصلوا إلى مصر والحجاز والشام وغيرها ليحظوا هناك بالمراتب العالية، وقد كان أكثر انطلاقهم وانبعاث رحلاتهم من سواحل المغرب الأوسط.

وكان لهذه الحيوية العلمية الأندلسية وبيئة المغرب الأوسط المتهيئة للاستقبال والتلقي، أعظم الأثر على ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في هذا الاقليم المترامي الأطراف خلال القرن السابع الهجري، بل وسيمتد ذلك الإشعاع إلى حقب زمنية غير قصيرة.

الملحق الأول:

ظهير زياني لفائدة الأندلسيين اللاجئين إلى تلمسان[72].

"هذا ظهير عنايةٍ مديدُ الظلال، وكرامةٍ رحيبة المجال، وحماية لا يُخشى على عقدها المُبرم وعهدها المُحكم من الانحلال والاختلال، أمر به فلان – [73] أيد الله أمره، وابد عصره– ،لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان – حرسها الله – أحلهم به من ريعه الجميل أكنافا، وبوأهم من اهتمامه الكريم جنات ألفافا، و وطأ لهم جناب احترامه تأنيسا لقلوبهم المنحاشة إلى جانبه العلي و استلافا، وأشاد بما له فيهم من المقاصد الكرام، وأضفى عليهم من جُنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد و الاهتضام، حين اختبر خدمتهم فشُكروا ما تولوا فيها من الجِد والاجتهاد، واطلع على أغراضهم السديدة في اختيارهم حضرته السعيدة للسُكنى على سائر البلاد، فلحظ لهم هذه النية واعتبرها، وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة وآثارها، وأذن – أيده الله – لهم ولمن شاء من أهل تلمسان البلديين في كذا"...

الملحق الثاني

جدول يُمثل ولاة بجاية الحفصيين في القرن السابع الهجري 13 / م[74].

01	أبو عبد الله محمد اللحياني	627 – 633هـ / 1230 – 1236م	06سنوات
02	أبو يحي زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء يحي	633 – 646هـ / 1236 – 1249م	13 سنة
03	أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاني	660 – 673هـ / 1275 – 1279م	13 سنة
04	محمد ابن أبي هلال	673 – 679هـ / 1275 – 1279م	05 سنوات

05	عبد الحق بن تافاركين	سنة 678 هـ 1279 / م	أقل من سنة
06	أبو فارس بن السلطان أبي إسحاق بن أبي زكريا	682 – 679هـ – 1280 / 1283م	03 سنوات

الهوامش:

1– محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، موفم، الجزائر، 1989 م، ص ص.34 – 3

2–بوداعة نجادي، " علم الحديث و رواده بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري" ،مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 16،منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جمادى الثانية 1433 هـ – ماي 2012 م، ص ص.239 – 230

3أبو العباس أحمد بن احمد بن عبد الله الغِبْرِيني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ص.294

4المصدر السابق نفسه، ص ص.295 – 294

5المصدر السابق نفسه، ص ص204 – 202 ، أبو عبد الله محمد الاوسي ابن عبد الملك ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، س – 1 ق1 ،تحقيق، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ص ص .371 – 369

6الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص .322

7ابو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر،1980 – 1400، ج1 ،ص129 ،ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س6 ، ص332 ، لسان الدين السلماني الغرناطي ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1393 هـ 1973 – م، مج2 ، ص426 ، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني التِّنِّسِي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق، محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 – 1405 ، ص128 – 127 ،محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تقديم، عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2010ص.198

8ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2 ، ص.427 – 426

9يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج1 ، ص.129

10التِّنِّسِي، مصدر سابق، ص.128 – 127

11ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421 هـ2000 –م، ج7 ، ص106 ، راجع عن انتاج أبي بكر ، ابن الخطيب، الاحاطة، ج2 ، ص ص433 – 428 ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي العبدري، رحلة العبدري، تحقيق، علي ابراهيم الكردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، 1426هـ 2005 / م، ص ص73 – 66 ، أحمد عزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع 13 / م، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة،2008 ، ص ص.162 – 20

12الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.270 – 269

13المصدر السابق نفسه، ص.270

14المصدر السابق نفسه، ص.271 – 270

15الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.272 – 271

16أبو العباس أحمد القرشي التلمساني المقري، نـفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ 1988 – م ، ج2 ، ص.104

17ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي ابن سعيد، المغرب في حُلى المغرب، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1953م1955 – ،ج2 ، ص ص.363

18راجع وصف اقرانه له ،محمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبَّار، المـقتضـب من كتاب تحفة القادم، تحقيق، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1410 هـ 1989 – م، ص ص202 – 197 ، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س – 1 ق 1، ص ص152 – 150 ، يُراجع عن انتاج ابن عميرة، أحمد عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية)القرن السابع الهجري(، ص ص 10 – 135.

19ابن الخطيب ، الاحاطة، ج1 ،ص.176

20الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص ص301 – 298 ، ابن الخطيب، الاحاطة، ج1 ، ص.174

21ابن الأبَّار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص ص202– 197 ، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س – 1 ق1 ، ص ص177 – 176 ، ابن الخطيب، مصدر سابق، الاحاطة ، ج 1 ، ص ص178 – 176 ،يُنظر عن بعض رسائله المبثوثة ، أبو محمد عبد الله بن محمـد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981،ص ص93– 90 ، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية1984 ، سابق، ص ص100 – 97 ، أحمد عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية، الطاهر توات، مرجع سابق، ج1، ص ص127 – 121 ، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن معمر، دار الأديب، وهران، د ت، مقـدمة التحقيق،ص–ص:12–17.

22الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص 311 ،ابن خلدون، مصدر سابق، ج6 ، ص418 – 417 ، ابن الأبَّار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية1985 – ، ج1 ، مقدمة التحقيق، ص39 ، أحمد بن الحسن القسنطيني ابن قنفذ، الوفيات، تحقيق عـادل نويـهـض، ط4 ، دار الأفاق الجديدة، بيروت،1983 – 1403 ، ص 325– 324 ، الهامش 1 ، ابن الأبَّار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، مقدمة التحقيق، ص19 – 18 ، جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية،العدد2، خاص بابن الأبَّار، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ 1989 / م، ص.119

23ابن الأبَّار، ديوان ابن الأبَّار، قراءة وتعليق، عبد السلام هراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1420 هـ – 1999م، ص 138 ،و ص ص182 – 178 ،و ص ص254 – 248 ،و ص269 – 268 ،و ص ص274 – 271 ، وص 286 – 287 ،وص ص 367 – 364 ، و ص ص 422 – 420 ، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2 ، ص ص312– 309 ، ابـن الأبَّار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، مقدمة التحقيق، ص 19 ،المقري، مرجع سابق، ج2 ، ص590 ، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص ص42 – 39 ، ابن الأبَّار، اعـتـاب الكتاب، تحقيق، صالح الأشتر، الطبعة الأولى،1380 هـ1961– م، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، مقـدمة التحقيق، ص ص.15 – 13

24ابن الأبَّار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص.26

25المصدر السابق، ص.22 – 21

26الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص.43

27لمزيد التفصيل والفائدة عن انتاج ابن الأبَّار بين المطبوع و المخطوط، راجع: ابن الأبَّار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص ص 19 –23.

28محمد المغراوي، الخط المغربي عند ابن خلدون، الذخائر، عدد خاص، الخط والمخطوط العربي، العدد التاسع، السنة الثالثة، شتاء 1422 هـ 2002 / م، ص ص62 – 57 ،و راجع أيضاً، عمر أفا ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 1428 هـ 2007 / م، ص ص.39 – 35

29ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت،2002 – 1422 ، ص.390

30ابن خلدون، المقدمة، ص.407

31كمجاهد وأبي عمرو الداني والشاطبي وغيرهم، ابن خلدون، المقدمة، ص408 – 407 ، وانظر أيضاً، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الاجتماعي، ج2 ،دار الجيل، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، 1422 هـ2001 – ، ص – 265 266،المرجع السابق نفسه، ج4 ، ص ص.418 – 416

32الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص290 – 289 ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القُراء، اعتنى به، ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006 م،ج1، ص275 ، و ص.279 .

33الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص ص .91 – 85

34الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.86

35المصدر السابق نفسه، ص.86

36المصدر السابق نفسه، ص.86

37الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص ص.83 – 79

38ابن الجزري، مصدر سابق،ج2، ص.137

39الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.80 – 79

40العبدري، مصدر سابق، ص ص.92 – 84

41الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.261 – 260

42ابن خلدون، المقدمة، ص476 ، و ص ص.386 – 384

43راجع عن دخول الطب إلى الأندلس وعوامل ازدهاره وطرق ممارسته وأنواع الأمراض والأدوية :زرهوني نور الدين، الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، اشراف، بن نعمية عبد المجيد، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1423 – 1422 هـ 2002 – 2001 / م.

44شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الاعلام، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1424 هـ 2003 – م، مج13 ، حوادث 630 – 601 هـ ، ص 245 ،محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت، ج1 ، ص.67

45الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص74 – 73 ، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص.197

46الغِبْرِيني، مصدر سابق ، ص75 ، الخطابي، مرجع سابق، ج1 ، ص .29

47الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص76 – 75 ، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6 ، ص.64

48الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.76

49الحميري، مصدر سابق، ص.81 – 80

50الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص .76

51الخطابي، مرجع سابق، ج1 ،.29

52ابن الأبَّار، التكملة لكتاب الصلة، تعليق، ابن أبي شنب و ألفريد بل، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1337 هـ 1919 – م، ص 158،فرح سعد، الحياة الثقافية في الدولة الزيانية على عهد يغمراسن سنة 633 هـ 681 – هـ 1231 / م 1280 – م، اشراف، دحو فغرور، بمساعدة، سلطاني الجيلالي، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية،2002 – 2001 ، ص.99

53عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني)دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية، ثقافية(، موفم للنشر، الجزائر،2007 ، ، ج 2، ص.338

54ابن خلدون، المقدمة، ص401

55راجع الحكم الشرعي في مسألة القراءة بالألحان، ابن خلدون، المقدمة، ص.396

56محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، مراجعة وتعليق، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، / 1392 1972، ص.43 – 42 .

57سحنون ،مصدر سابق ، ص.44

58جمعة شيخة، مرجع سابق، ص.24

59الغِبْرِيني، مصدر سابق، ص.294 – 293

60ابن خلدون، المقدمة، ص539

61المصدر السابق نفسه ، ص.540

62المصدر السابق نفسه، ص.540

63ابن خلدون، المقدمة، ص.541 – 540

64المصدر السابق نفسه، ص540 ، فيلالي، مرجع سابق، ج2 ، ص338 ، اسماعيل سامعي، "حركة التعليم في المغرب الإسلامي إبان القرنين 3 و 4 هـ 11 – 10 / م" ،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، العدد الأول، محرم / 1423 أبريل2002 ، ص ص.112 – 91

65شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، الطبعة الخامسة،2002 ، دمشق، ص.81

66شوقي، أبو خليل، مرجع سابق، ص.84

67هذا العقد من إنشاء ابن عميرة، وأغلب الظن أن يكون تاريخه النصف الثاني من سنة 646 هـ، عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية، ص ص145 – 141 .

68من الآية الكريمة 30 :من سورة الزخرف، وتمامها قول الله تعإلى):وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم(

69سورة المائدة :الآية الأولى.

70سورة ءال عمران :الآية .126

71الآية الكريمة السابقة نفسها.

72عزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع 13 / م، ص159 ، الرسالة السادسة والخمسون وهي من إنشاء ابن خطاب الأندلسي عن أمير تلمسان يغمراسن في حوالي سنة 677 هـ.

73المقصود به يغمراسن و كان لتدخل النُساخ الدور في حذف اسمه وإغفاله، انظر عزاوي في تحقيقه للمسألة، المرجع السابق نفسه، ص 159 ، الهامش.3

74السعيد عقبة، الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري13 / م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغِبْرِيني) ت 704 هـ 1304 / م(، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي – تاريخ وسيط، اشراف، عبد العزيز فيلالي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية، 1430 – 1429 هـ 2009 – 2008 / م، الملحق رقم (02، ص.186 .